African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907,
Volume 1, Issue 4, October-December 2022, Page No: 29-38
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index

الوحدة الموضوعيّة في سورة الإخلاص

د. مزمل محمد عابدين محمد*
أستاذ التفسير المشارك، قسم الدراسات الإسلامية، كليّة التربيّة، جامعة الإمام المهدي، السودان

Thematic Unit in Surat Al-Ikhlas

Muzammil Muhammad Abdeen*
Associate Professor of Interpretation, Department of Islamic Studies, College of Education, Imam Al-Mahdi University, Sudan

*Corresponding author	mozamil.abdeen194@gmail.com	*المؤلف المراسل

تاريخ النشر: 2022-10-01	**تاريخ القبول:** 2022-09-27	**تاريخ الاستلام:** 2022-09-08

ملخص:
تَهدفُ هذه الدراسةُ إلى التعرف على الوحدة الموضوعية في سورة الإخلاص، حيث جاءت السورة في محاور متعانقة مع قطبها الرئيس في صورة تمثل وحدة متكاملة لا تقبل الانفصال، ولتحقيق ذلك الهدف استخدم الباحث المنهج الاستقرائيّ التحليليّ، وقسم الباحث هذه الدراسة إلى أربعة مباحث، وخاتمة، جاء الحديث في المبحث الأول عن:نبذة مختصرة عن سورة الإخلاص، وفي المبحث الثاني: المعني العام للسورة، وفي المبحث الثالث: حاجة العباد إلى معرفة الله عز وجل، وفي المبحث الرابع: الوحدة الموضوعيّة للسورة، وختمت الدراسة ببيان أهم النتائج التي خلص إليها الباحث، التي من أبرزها: دراسة الوحدة الموضوعيّة للسورة يوقف العبد على عظمة كتاب الله وسعة معانيه، ومنها: أن سورة الإخلاص لها عدة أسماء مما تدل على عظمة السورة ولها فضائل من أعظمها: أنها تعدل ثلث القرآن. ومن خلال النتائج السابقة أوصى الباحث بعدد من التوصيات أهمها: أنّ تحظى سورة الإخلاص بمزيد عناية في التعلم والتعليم حتى ترسخ في القلوب، كما أوصى بمزيد العناية بالسورة بهدف الكشف عن معانيها العظيمة.

الكلمات المفتاحية: الإخلاص، المناسبة، التناسق، الوحدة الموضوعية.

Abstract
This study aims to identify the objective unity of Surat Al-Ikhlas, as the surah came in axes embracing its main axis in an image that represents an integrated unit that does not accept separation, and to achieve that goal the researcher used the analytical inductive approach, and the researcher divided this study into four topics and a conclusion. The first topic deals with: the names of the surah, its merits, the time of its revelation, and its verses, and in the second topic: the general meaning of the surah, and in the third topic: the human need to know God Almighty:, and in the fourth topic: the objective unity of the surah, and the study

concluded with a statement of the most important findings that the researcher concluded, One of the most prominent of them is: studying the objective unity of the surah because that stops the servant on the greatness of this book and the breadth of its meanings, including that Surat Al-Ikhlas has several names that indicate the greatness of the surah.
From the previous results, the researcher recommended a number of recommendations, the most important of which are: That Surat Al-Ikhlas should receive more attention in learning and teaching so that it becomes firmly established in the hearts, and he also recommend more care for the surah in order to reveal its great meanings.
Key words: sincerity, proportionality, consistency, unity.

مقدمة:

دراسة الوحدة الموضوعيّة يعدُّ نوعاً مهماً من أنواع التفسير الذي يظهر حيوية القرآن الكريم وواقعيته؛ حيث إنّه يصلح لكل زمان ومكان والكتابة في التفسير الموضوعيّ سواء كان ذلك من خلال موضوع في القرآن، أو من خلال موضوع في سورة معينة مما برز مؤخرًا خدمة لكتاب الله وإبرازًا لهداياته وكشفًا لأسراره وفيه أيضا تدبر القران الكريم وإيصاله إلى قلوبهم، وأفهامهم {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} [ص: 29].

ولذا وقع اختياري لسورة الإخلاص هذه السورة العظيمة التي تعدل قراءتها ثلث القران كما جاء في الحديث الصحيح.

أهداف البحث:

- يسهم هذا البحث في إظهار مكانة التوحيد وإبراز صورته من خلال سورة الإخلاص.
- الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتَعلُّم ذلك وتعليمه، مما يوصل بنا إلى تحقيق مرتبة الخشوع والإحسان.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1- حاجة الناس اليوم إلى فهم القرآن فهماً صحيحاً، والنظر إلى أسراره العظيمة، وإعجاز فصاحته وألفاظه ومعانيه، ونظم أسلوبه.
2- دراسة الوحدة الموضوعيّة يعدُّ لوناً له أصالته وعمقه كما له جدته وطرفته وحسنه.
3- إبراز الوحدة الموضوعيّة للسور يعدُّ إضافة حقيقة في التفسير الموضوعيّ.
4- بيان عظمة هذه السورة وفضلها في نفسها، ومع غيرها.
5- قلة الكتابة في هذا الموضوع بشكل مستقل؛ على حسب اطلاع الباحث.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائيّ التحليليّ أهمية معرفة الحاجة الى

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث بحثًا مستقلًا بهذا العنوان، ولكن يوجد كتابات كثيرة في الوحدة الموضوعية لبعض السور.

المبحث الأول: أسماء السورة، وفضلها، وزمان نزولها، وآياتها.

أولا: أسماء السورة:

قال فخر الدين الرازيّ في كتابه التفسير: " اعلم أن كثرة الألقاب تدلُّ على مزيد الفضيلة، والعرف يشهد لما ذكرناه؛ فأحدها: سورة التفريد، وثانيها: سورة التجريد، وثالثها: سورة التوحيد، ورابعها: سورة الإخلاص؛ لأنه لم يذكر في هذه السورة سوى صفاته السلبيّة التي هي صفات الجلال، ولأنّ من اعتقده كان مخلصاً في دين الله، ولأنّمن مات عليه كان خلاصه من النار، ولأنّ ما قبله خلص في ذم أبي لهب فكان

جزاء من قرأه أن لا يجمع بينه وبين أبي لهب، وخامسها: سورة النجاة؛ لأنها تنجيك عن التشبيه والكفر في الدنيا،" إلى أن أوصلها إلى عشرين (الرازي: 2000، 32/ 161).

ثانياً: فضل السورة:

1/فضلها منفردة: قد ورد في فضلها منفردة أحاديث متعددة، منها:

أ/سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن:

عن أبي سعيد الخدريّ- رضي الله عنه - أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: {قل هو الله أحد} يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فذكر له ذلك، وكأنّ الرجل يتقالّها، فقال - صلى الله عليه وسلم -: (والذي نفسي بيده، إنها لتعدل ثلث القرآن (البخاري: ح 7374 و5013).

ومنها ما جاء عن أبي سعيد الخدريّ- رضي الله عنه - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: (أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟) فشقّ ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: (الله الواحد الصمد ثلث القرآن (البخاري: ح 5015)؛ أي:تعدل ثلث القرآن في الجزاء لا في الإجزاء العثيمين (1421 هـ، 1/ 157).، وذلك كما ثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ: "من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرات فكأنما أعتق أربع أنفس من بني إسماعيل(البخاري: ح 6404).

ووجه كونها تعدل ثلث القرآن: بيّنها ابن القيم:" لأنها أخلصت للخبر عن الرب تعالى وصفاته دون خلقه وأحكامه وثوابه وعقابه (ابن قيم الجوزية، 1998، 912/3) "، وفسّرها القرطبي: صارت {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تعدل ثلث القرآن إذ القرآن توحيد وأحكام ووعظ و{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فيها التوحيد كله وبهذا المعنى وقع البيان في قوله عليه السلام لأبيٍّ "أي آية في القرآن أعظم" قال: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]. وإنما كانت أعظم آية، لأنّها توحيد كلها كما صار قوله: " أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له" أفضل الذكر؛ لأنها كلمات حوت جميع العلوم في التوحيد. (القرطبيّ: 1/ 111)

قال ابن الأثير: ولمَّا اشْتَملتْ سورة الإخلاص على أَحد هذه الأقسام الثلاثة، وهو التَّقْديس وَازَنَها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثُلث القرآن؛ لأنَّ مُنْتَهى التقديس (أبو السعادات: 1979م، 1/ 633).

ب/سورة الإخلاص تجلب محبة الله ودخول الجنة:

فأما محبة الله لحديث:عائشة- رضي الله عنه -أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - بعث رجلاً على سريّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـــــ{ قل هو الله أحد } فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبيّ - صلى الله عليه وسلم - فقال: (سلوه لأي شيء يصنع ذلك). فسألوه فقال: لأنّها صفة الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - (أخبروه أن الله يحبُّه). وفي رواية أخرى عن أنس (حُبك إياها أدخلك الجنة)، (البخاري: ح 741).

أما كونها توجب الجنة فلحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (أقبلت مع النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فسمع رجلاً يقرأ: {قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد}، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " وجبت ") (فقلت: وما وجبت يا رسول الله؟، قال: " الجنة "، الترمذي (2897))، وفي الحديث الصحيح: [من قرأ {قل هو الله أحد} حتى يختمها عشر مرات؛ بنى الله له قصرًا في الجنة]، أحمد (15648).

ج/تكفي من الشرور:

عن عبد الله بن حبيب قال: (خرجنا في ليلة ممطرة فطلبت النبيّ صلى الله عليه وسلم ليصلي لنا فأدركناه، فقال: قل، فلم أقل شيئا، قال: قلت يا رسول الله ما أقول؟ قال: {قل هو الله أحد} والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك كل شيء)، (الترمذي (3575)).

د/ طرد وسوسة الشيطان:

وعن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يزالُ النَّاس يتساءلون حتى يُقال: هذا خلَق اللهُ الخلقَ فإذا قالوا ذلك فقولوا :﴿اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾]الإخلاص: 1 - 4]، ثمَّ ليتفل عن يساره ثلاثًا، وليستعِذ من الشَّيطان، ولينته، (فإن ذلك يذهب عنه ")) (أحمد (26246).

2/فضلها مع غيرها:

أ/ أنها لم تنزل مثلها:

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حديث عقبة بن عامر- رضي الله عنه - (يا عقبة ألا أعلمك سورا ما أنزلت في التوراة و لا في الزبور و لا في الإنجيل و لا في الفرقان مثلهن، لا يأتين عليك ليلة إلا قرأتهن فيها، { قل هو الله أحد }، و { قل أعوذ برب الفلق }، و { قل أعوذ برب الناس }(أحمد (158/4).

ب/أنها من المعوذات:

عن عائشة - رضي الله عنها - «أن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات (سورة الإخلاص، والمعوذتين) فلما ثقل كنت أنفث عليه بهنَّ، وأمسح بيده نفسه لبركتها» (البخاري: ح 5403).

ومنها حديث عائشة: " أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات) (البخاري: ح 4729).

ج/ تتضمن اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب.

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنّك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال (لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب (الألبانيّ، 130/2).

ثالثا: بعض أوجه القراءات:

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} بإثبات قل وقرأ عبد الله بن مسعود وأبى الله أحد بدون قل وقرأ الأعمش ؟ (قل هو الله الواحد) ؟ وقرأ الجمهور بتنوين أحد وهو الأصل وقرأ زيد بن علي وأبان بن عثمان وابن أبي إسحاق والحسن وأبو السماك وأبو عمرو في رواية عنه بحذف التنوين للخفة، قوله: (كُفُوًا): قرأ الجمهور كفوا بضم الكاف والفاء وتسهيل الهمزة وقرأ الأعرج وسيبويه ونافع في رواية عنه بإسكان الفاء وروى ذلك عن حمزة مع إبداله الهمزة واواً وصلاً ووقفاً وقرأ نافع في رواية عنه كفأ بكسر الكاف وفتح الفاء من غير مد وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس كذلك مع المد، (الشوكاني 516،517/5)

رابعاً: عدد الآيات وسبب ومكان نزل السورة:

وعدد آياتها خمس آيات في المصحف الحجازيّ والشاميّ، وأربع آيات في الكوفيّ والبصريّ، (الطنطاوى،15/ 539).

وسبب اختلافها آية لَمْ يَلِدْ عدها المكّيّ والشاميّ (السخاويّ، 2/ 560)، وأما كلماتها فهي خمس عشرة كلمة، وحروفها سبعة وأربعون حرفًا (ابن عادل، (5367).

وجاء في سبب النزول: عن سعيد، قال: أتى رهط من اليهود النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى انتُقِع لونه، ثم ساورهم غضبًا لربه، فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه. قال: " يقول الله:(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) " فلما تلا عليهم النبيّ صلى الله عليه وسلم، قالوا: صف لنا ربك كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه، فغضب النبيّ صلى الله عليه وسلم أشدّ من غضبه الأول، وساورهم غضبًا، فأتاه جبريل فقال له مثل مقالته، وأتاه بجواب ما

سألوه عنه:(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)، أحمد (5/ 133).

- حديث آخر: عن قتادة، قال: جاء ناس من اليهود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا: انسب لنا ربك، فنزلت:(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) حتى ختم السورة (الطبريّ:2000 م 688/24).

- حديث آخر: عن حديث أبيّ بن كعب: أنّ المشركين قالوا لرسول الله: انسب لنا ربّك، فأنزل الله: [{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ) الذي لم يلد ولم يولد؛ لأنّه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإنّ الله لا يموت ولا يورث. {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ:} لم يكن له شبيه، ولا عدل، و {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:11] (الحاكم:2/ 589.). عن أبي العالية: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك قال فأتاه جبريل بهذه السورة {قل هو الله أحد} (الترمذي (3365).

وأما مكان النزول: قيل سورة الإخلاص نزلت في مكة، وقيل: المدنية، (زاد المسير 8/ 340).

المبحث الثاني: المعني العام للسورة:

قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} أي: الواحد الوتر، الذي لا شبيه له، ولا نظير ولا صاحبة، ولا ولد ولا شريك. وأصل{أَحَدٌ}: وحد؛ قلبت الواو همزة، (القرطبيّ: 244/20.)

{الصَّمَدُ}، أجمع ما قيل في معناه: أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، فقد روي عن ابن عباس أن }الصَّمَدُ} هو الكامل في علمه، الكامل في حلمه، الكامل في عزته، الكامل في قدرته...إلى آخر ما ذكر في الأثر، وهذا يعني أنه مستغنٍ عن جميع المخلوقات؛ لأنه كامل .

أنَّه {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} لكمال غناه، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله تبارك وتعالى"(البدر: 2003م،3/ 51.). وفي قوله: {لَمْ يَلِدْ} رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم :المشركون، واليهود، والنصارى؛ لأنَّ المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، وقالوا: إن الملائكة بنات الله. واليهود قالوا: عزير ابن الله. والنصارى قالوا: المسيح ابن الله. فكذبهم الله بقوله: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} ؛ لأنه عز وجل هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟ }وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}: أي: لم يكن له أحد مساويًا في جميع صفاته. فنفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه أن يكون والدًا، أو مولودًا، أو له مثيل.

فائدة: انفراد الله بثلاثة أسماء في هذه السورة لا يجوز إلا لله وهي:(الله، الأحد الصمد)؛قال ابن القيم: "فلا يجوز التسمية بالأحد، والصمد، ولا بالخالق، ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تبارك وتعالى، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار، والمتكبر، والأول، والآخر، والباطن، وعلام الغيوب". قال ابن كثير:" أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك"(ابن كثير: 1999م.1/ 126، الجصاص، أحكام القرآن، 1/ 9)، وقال ابن عثيمين: "الله" علم على نفس الله عز وجل، ولا يسمى به غيره ومعناه: المألوه، أي: المعبود محبة وتعظيماً(العثيمين: 1/ 38).

وأما الأحد: بيّن ابن كثير في تفسير: قوله سبحانه: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}.

يعني: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يُطلَق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله، عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله (ابن كثير: 1999م. 8/ 528).

الصمد: على هذا يقتضي ألا يكون في الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شيء، وأنه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الأسماء الحسنى والصفات العليا" (الخازن: 321/7).

المبحث الثالث: حاجة العباد إلى معرفة الله عز وجل.

أولاً: ثمرة معرفة الله عز وجل:

إنَّ أعلى مرتبة للإنسانية، وأفضل مقام للبشرية هو معرفة الله، وتحقيق الإيمان وأزهى سعادة للإنسان وأحلى نعمة هو محبة الله النابعة من تلك الهداية وأصفى سرور لروح الإنسان، وأنقى بهجة لقلبه هو اللذة الروحية المترشحة من تلك المحبة.

إنَّ الله عز وجل عندما عرفنا بنفسه الكريمة عن طريق وحيه إلى أنبيائه ورسله، أراد منا أن نعبده حق عبادته فنؤدي تلك الأسماء والصفات في حياة الإنسان ثمار العبودية الحقة، التي يسعد بها في الدنيا والآخرة فإن العلم علمان: علم بالله، وعلم بشرعه.

والعلم به عز وجل هو رأس الأمر؛ لأنَّه يكسب القلب تعظيمًا وتقديرًا لخالقه، ومحبة وإنابة إليه، وخوفًا ورجاء إلى آخر تلك العبودية التي تجعله يعبد الله كأنّه يراه، وهذا أعلى درجات اليقين. فإذا عرف أن الله عز وجل هو " الملك " الذي بيده الأمر كله، والناس خاضعون لسلطانه وقهره؛ فإنه يذل له وحده ولا يخشى أحدًا سواه، وإذا عرف أنّ الله عز وجل هو " الرزاق " فإنه يتجه إليه وحده في طلب رزقه، فلا يذل لأحد من خلقه ابتغاء رزقه، وإذا عرف أن الله " سميع بصير " فإنه يجتنب معاصيه خوفًا منه؛ لأنه يراه ويطلع على حاله ولا يخفى عليه شأن من شؤونه. وإذا عرف {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}(سورة البقرة: 222)،فإنه يتقرب إليه بذلك العمل حتى ينال محبته ورضوانه؛ وهكذا لكل اسم من أسمائه تعالى عبودية خاصة تقود صاحبها إلى خالقه وبارئه، قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} (سورة الأعراف: 180)، والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها)،وقال عليه الصلاة والسلام: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا - مائة إلا واحدًا - من أحصاها دخل الجنة (مسلم رقم 2677، ومجلة البحوث الإسلاميّة، 12/ 257). وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: "فهم معاني أسماء الله تعالى وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف، والرجاء، والمهابة، والمحبة، والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات" (الحشود،65/2).

ومعرفة صفات الله يؤرث محبة الله، وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء اللَّه تعالى وصفاته وآياته كان إيمانه أكمل"(سالم: 1994م، 2/ 310)، وقد بشر النبيّ صلى الله عليه و سلم الرجل الذي كان يحب سورة الإخلاص، وقال: أحبُّها؛ لأنَّها صفة الرحمن عز و جل، فقال:(حبك إياها أدخلك الجنة) (البخاري: ح، 741)، وفي لفظ آخر: (أخبروه أن الله يحبه).

ثانياً: صفة الرحمة:

سبب محبة الصحابيّ لهذه السورة لتضمينها صفة الرحمة، وهي من صفات الله تبارك وتعالى، التي وصف بها نفسه كثيراً في القرآن العظيم في نحو مئتي آية، فضلاً عن تصدر كل سورة بصفتي الرحمن الرحيم، وذلك في البسملة من كلِّ سورة عدا سورة براءة، وذلك للدلالة على مبلغ رحمته العظيمة، وشمولها العام بعباده ومخلوقاته. قال ابن كثير: { الرحمن الرحيم } اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، قال أبو علي الفارسي: الرحمن: اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين، قال الله تعالى: { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا } [الأحزاب: 43]((ابن كثير: 1999م.1/ 124، الشنقيطي: 1/ 5).

ورحمته تعالى سبقت غضبه وغلبته، وظهرت في خلقه ظهورًا لا ينكر، حتى ملأت أقطار السماوات والأرض، وامتلأت منها القلوب حتى حنَّت المخلوقات بعضُها على بعض بهذه الرحمة التي نشرها عليهم وأودعها في قلوبهم، وحتى حنَّت البهائم التي لا ترجو نفعًا ولا عاقبة ولا جزاء على أولادها.

ثالثاً: محبة الله.

ثمرة محبة صفة الرحمن هي محبة الله للعبد كما مرَّ معنا في الحديث السابق، وهي أعلى المطالب؛ وتتحقق العبودية لله؛ لذا قال السعديُّ: "تمَّت محبة الله في قلوبهم التي هي أصل التأله والتعبد، أنابوا إليه فطلبوا قُربه ورضوانه، وتوسَّلوا إلى ذلك وإلى ثوابه بالجد والاجتهاد في فعل ما أمر الله به ورسوله، وفي ترك جميع ما نهى الله عنه ورسوله، وبهذا صاروا محبِّين محبوبين له، وبذلك تحققت عبوديتهم وألوهيتهم لربهم، وبذلك استحقوا أن يكونوا عباده حقًّا، وأن يضيفهم إليه بوصف الرحمة حيث قال: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ} [الفرقان: 63]، ثم ذكر أوصافهم الجميلة التي إنما نالوها برحمته، وتبوأوا منازلها برحمته، وجازاهم بمحبته وقُربه ورضوانه وثوابه وكرامته برحمته(السعديّ، 2009، ص:33).

وقال ابن القيم:" ومن تأمل أسماء الله وصفاته، وتعلق قلبه بها طرحه ذلك على باب المحبة، وفتح له من المعارف والعلوم أمورًا لا يعبر عنها" (ابن القيم ،(286/1)، ومراده أن من عرف الله أحبه، ومن أحب الله

أحبه الله، وذلك والله هو الفوز العظيم، والجنة والنعيم، والمحبة" هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبوب، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال، والتي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه" (ابن القيم، 3/6-7).

ومن سلك طريق التأمل في الأسماء والصفات، ولحظ نعم الله عليه كيف لا يكون حب الله تعالى أعظم شيء لديه، قال أبو سليمان الواسطي: (ذكر النعم يورث المحبة)، (الجنيد: 2003 م، ص: 18).)وقال ابن القيم: (فإذا انضم داعي الإحسان والإنعام إلى داعي الكمال والجمال لم يتخلف عن محبة من هذا شأنه إلا أردأ القلوب وأخبثها وأشدها نقصًا، وأبعدها من كل خير، فإنَّ الله فطر القلوب على محبة المحسن الكامل في أوصافه وأخلاقه، وإذا كانت هذه فطرة الله التي فطر عليها قلوب عباده، فمن المعلوم أنه لا أحد أعظم إحسانًا منه سبحانه وتعالى، ولا شيء أكمل منه ولا أجمل، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعه سبحانه وتعالى، وهو الذي لا يحد كماله ولا يوصف جلاله وجماله، ولا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه بجميل صفاته وعظيم إحسانه وبديع أفعاله(ابن قيم الجوزية: 1994، ص: 470).

ومحبة الله ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن بصدق الطاعة والاتباع فالمحب يطيع محبوبه. قال الله { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) } (آل عمران:31)، وليس الغاية أن تحب الله ولكن الغاية أن يحبك الله -عز وجل -رزقنا محبته.

المبحث الرابع: الوحدة الموضوعيّة في سورة الإخلاص.

أولاً: الموضوع الرئيس في سورة الإخلاص.

لما كان من هدف الباحث من هذه الدراسة إبراز الوحدة الموضوعيّة للسورة تبين له من خلال الاطلاع على عدد من التفاسير أن الموضوع الرئيس هو "إفراد الله تعالى في ذاته وصفاته بالوحدانية (الشنقيطي: 9 / 151) " قال الإمام البقاعيّ: مقصودها بيان الحقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للإخلاص في التوحيد بإثبات الكمال، ونفي الشوائب النقص والاختلال، المثمر لحسن الأقوال والأفعال، وثبات اللجاء والاعتماد في جميع الأحوال، وعلى ذلك دلّ اسمها الإخلاص الموجب للخلاص(البقاعي: 1995م، 575/8).

ثانياً: مناسبات السورة:

المناسبة في اللغة: المُشاكَلَةُ، والنَّسَب والقرابة (الرازي:1/ 273). وفي الاصطلاح: الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه (مصطفى مسلم (ص: 58). وهي في كتاب الله تعالى: علاقة الآية أو السورة بما قبلها وما بعدها. وقد اختلف أهل العلم في حكم التماس المناسبة بين الآيات والسور على قولين رئيسين؛ أولهما: أن ذلك جائز، بل مطلوب لأهميته في فهم مقاصد القرآن، وتذوق نظمه وإدراك معانيه، والكشف عن أسراره ووجوه إعجازه.

وبيَن أبو بكر بن العربي في سراج المريدين: " ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني - علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه (الزركشيّ:1،1957/ 36، السيوطي: 2،1996/ 288).

ووضح الرازي بأن: " علم المناسبات علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول " (البرهان 1/ 35، 36).

مناسبة السورة لاسمها:

(الإخلاص) أنها خالصة في ذكر صفات الله تعالى وحده لا شريك فيها من سواه؛ ولهذا سُمِّيت سورة الإخلاص؛ ولأنَّها مشتملةٌ على إخلاص التوحيد العلميّ لله تبارك إذ لا يختلط بذكره جنة ولا نار، ولا وعد ولا وعيد، ولا أمر ولا نهي.

قال ابن الأثير: سُمِّيت به؛ لأنّها خاصة في صِفة الله تعالى خاصَّة أو لأنّ الَّلافظ بها قد أَخْلَص التَّوحيد لله تعالى (أبو السعادات: 1979م، 2/ 141.).

ومن أسمائها (التوحيد) لما اشتملت عليها السورة في إثبات الكمال في صمديته نفي الند، والمثيل في أحديته (لم يلد ولم يولد).

مناسبة السورة بسورة الفاتحة (أول المصحف):

بدأت آيات القران من التحذير سبيل المغضوب عليهم، والضالين في سورة الفاتحة، وختم بالبراءة مما نسبوه على الله من اتخاذه ولد تعالى عما يقولون في سورة الإخلاص، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبيّ - صلى الله عليه وسلم - قال: "قال الله: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفأ أحد"(البخاري: ح 4690).

مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها: ولما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلّم، وهو عمه أبو لهب، وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد.

وقال بعضهم: مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذم فيما قبلها أعداء أهل التوحيد، وأعداء الرسول - صلى الله عليه وسلم -.. بيَّن في هذه حقيقة التوحيد الذي هو أساس الدين، ومبنى أركانه، وسميت سورة الإخلاص؛ لدلالتها على إخلاص العمل لله وتصفيته من الإشراك به (الهرريّ، - 32/ 435، أبو حيان الأندلسي، 8/ 395.).

وهي تتحدث عن توحيد الله -تبارك وتعالى، الذي هو توحيد المعرفة، التوحيد العلميّ الخبري، فهي في صفة المعبود، والسورة التي قبلها، وهي سورة الكافرون تتحدث عن النوع الآخر من أنواع التوحيد، وهو التوحيد العمليّ، توحيد القصد والإرادة، فهاتان السورتان بمجموعهما يتحدثان عن التوحيد من جانبيه - بنوعيه.

مناسبة السورة لما بعدها:

وهي سورة الفلق قال الشنقيطي: في ارتباط السورة بما بعدها:" وهو أنه سبحانه، لما ذكر أنه سبحانه وتعالى الواحد الأحد، الفرد الصمد، والصمد من معانيه الذي تصمد الخلائق إليه في حاجاتهم، جاء في المعوذتين توجيه العباد إلى من يستعيذون ويلوذون به، وهو الله الصمد سبحانه، فهو وحده الذي يعيذهم ويحفظهم وهو الذي يلجؤون إليه سبحانه (الشنقيطي: 9/ 157.).

ثالثًا: الوحدة الموضوعيّة للسورة:

1. ارتباط السورة مع آياتها، وآياتها مع بعضها في مضمونها التي اختصت بحق الله تعالى في ذاته وصفاته من الوحدانية والصمدية، ونفي الولادة والولد، ونفي الكفء وكلها صفات انفراد لله سبحانه الخالص.
2. تناسق السورة في نفى الشرك بجميع أنواعه، فقد نفى الله عن نفسه أنواع الكثرة والتعدد بقوله تعالى: (اللهُ أَحَدٌ)، ونفى عن نفسه جميع أنواع الاحتياج بقوله: (اللهُ الصَّمَدُ)، ونفى عن نفسه المجانسة والمشابهة بقوله: (لَمْ يَلِدْ)، ونفى عن نفسه الحدوث والأولية بقوله: (ولم يُولَدْ)، ونفى عن نفسه الأنداد والأشباه بقوله: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)، والسورة الكريمة تعلن التوحيد الخالص (مجموعة من العلماء:1993، 2048/10).
3. ارتباط الأحدية بالصمدية: أنه سبحانه لما كان له السؤدد احتاج له الخلاق، وبإمعان النظر في مبدأ يفسره ما بعده يتضح أن السورة كلها تفسير لأولها {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ؛ لأنَّ الأحدية هي تفرده سبحانه بصفات الجلال والكمال كلها، ولأنَّ المولود ليس بأحد؛ لأنه جزء من والده، والوالد ليس بأحد؛ لأنَّ جزءًا منه في ولده، وكذلك من يكون له كفء فليس بأحد لوجود الكفء، وهكذا السورة كلها لتقرير {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (الشنقيطي، 9/ 150).

الخاتمة:

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد الله الذي وفقني لكتابة هذه الدراسة التي هي بعنوان (الوحدة الموضوعية في سورة الإخلاص) ، ومن خلال معالجة هذا الموضوع توصلت إلى نتائج وتوصيات يمكن إجمالها.

أولاً: النتائج:

من خلال الدراسة السابقة توصل الباحث إلى النتائج التالية:

1- دراسة الوحدة الموضوعيّة للسورة يوقف العبد على عظمة هذا الكتاب، وسعة معانيه، وأبرز خصائص الإعجاز التي ارتبطت بنظمه وترتيبه ويجعل المتدبر لكلام الله يستمتع بصورة جمالية رائعة وفريدة للسورة القرآنية.
2- لسورة الإخلاص عدة أسماء مما تدل على عظمة السورة.
3- سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، ولها فضائل جليلة ذُكرت بعضها في البحث.
4- موضوع سورة الإخلاص الرئيس هو: إفراد الله تعالى في ذاته وصفاته بالوحدانية.
5- هنالك تناسق وتناسب وتعانق عجيب بين آيات سورة الإخلاص مع بعضها ومع محاورها الرئيس، ومع اسمها بصورة تعجز العبارات عن بيان حسنه بما يدل دلالة قاطعة على أنه من لدن حكيم خبير.

ثانياً: التوصيات:

من خلال النتائج السابقة يوصي الباحث بما يلي:

1- أن تحظى سورة الإخلاص بمزيد عناية في التعلم والتعليم حتى ترسخ في القلوب كما أوصي الباحثين والدارسين بمزيد العناية بالسورة بهدف الكشف عن معانيها العظيمة.
2- دراسة جميع سور القرآن من خلال الوحدة الموضوعيّة وفق الضوابط المعروفة عند المفسرين المحققين، وإخراج ذلك في مشروع متكامل.
3-

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي(751ه)،مدارج السالكين،تحقيق: محمد حامد الفقيّ، دار الكتاب العربي – بيروت.
3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي(751ه)، طريق الهجرتين، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام الطبعة الثانية، 1414 – 1994.
4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي(751ه)، الصواعق المرسلة، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الثالثة، 1418هـ.
5. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، الصفدية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية، 1406ه.
6. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (المتوفى: 728هـ) مجموع الفتاوى،المحقق: أنور الباز - عامر الجزار،الناشر: دار الوفاء،الطبعة: الثالثة، 1426 هـ / 2005 م
7. ابن عادل، عمر بن على ابن عادل، (لمتوفى بعد سنة 880 هـ)، تفسير اللباب،، دار الكتب العلمية - بيروت.
8. ابن كثير، أبى الفداء إسماعيل ابن كثير (747 ه)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.
9. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (المتوفى: 606هـ)،النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاويّ - محمود محمد الطناحيّ، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
10. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطيّ(911هـ)، تحقيق سعيد المندوب الناشر دار الفكر،سنة النشر 1416هـ- 1996م،لبنان.

11. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة(الطبعة: الثانية 1420هـ، 1999م).
12. أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية – ليبيا،2003م.
13. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة، 1407 – 1987م.
14. البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، فقه الأدعية والأذكار، الطبعة: الثانية، 1423هـ/2003م.
15. البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلميّة - بيروت - 1415هـ - 1995م.
16. الترمذيّ، محمد بن عيسى أبو عيسى الجامع الصحيح، سنن الترمذيّ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
17. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغداديّ، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، دار النشر: دار الفكر - بيروت / لبنان - هـ /1979.
18. د. محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم،،المكتبة الشاملة. مصدر الكتاب: موقع التفاسيرhttp://www.altafsir.com
19. الزركشيّ، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
20. السخاويّ، علي بن محمد بن عبد الصمد، (المتوفى: 643هـ)جمال القراء وكمال الإقراء، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.
21. السعديّ، عبد الرحمن بن ناصر (1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1420 هـ - 2000م.
22. الشنقيطيّ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، الشنقيطي(1393هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: 1415 هـ - 1995م.
23. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (310 هـ)، جامع البيان في تأويل أي القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000م.
24. طريق الهجرتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم - الدمام الطبعة الثانية، 1414 – 1994.
25. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح العقيدة الواسطيّة، (المتوفى: 1421 هـ)، دار ابن الجوزيّ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعوديّة، الطبعة: السادسة، 1421 ه.
26. العقيدة السلفية في كلام رب البريّة وكشف أباطيل المبتدعة الردية، عبد الله بن يوسف الجديع، دار الإمام مالك، دار الصميعيّ للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1416 هـ - 1995.
27. فخر الدين الرازيّ، محمد بن عمر التميمي الرازيّ (606ه)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلميّة - بيروت،الطبعة: الأولى- 1421هـ - 2000 م.
28. القرطبيّ، محمد بن أحمد، شمس الدين (المتوفى: 671هـ) الجامع لأحكام القرآن، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
29. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، محمد بن عبد الدائم بن موسى الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، 1433 ه.
30. مجلة البحوث الإسلاميّة - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد.
31. مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،الطبعة الأولى، (1414 هـ،1993 م).
32. مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
33. الهرريّ، محمد الأمين بن عبد الله، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، تحقيق: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي،دار طوق النجاة، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.